إنتقام حزب الله: كونوا حذرين من منتصف آذار

بقلم : فرد بورتون وسكوت ستيوارت / ستراتفور

عقب إغتيال عماد مغنية، أحد كبار قادة حزب الله العسكريين، في ١٢ شباط، صدر عدد من التهديدات والتحذيرات تتعلق بهجوم إنتقامي ضد إسرائيل، التي وُجِّه لها اللوم – أو الإطراء – على الهجوم. وأتت التهديدات من قادة إيرانيين وفي حزب الله، في حين أتت التحذيرات من الحكومتين الإسرائيلية والأميركية.

وبالرغم أن الرواية المنتشرة والمعروفة لا تزال تتصدر العناوين، فإن التحذيرات التي رأيناها لم تتضمن أي إطار زمني. وهذا يعني بأن معظم الناس القلقين بشأنها سيكونوا متيقظين وعلى أهبة الإستعداد في الفترة القريبة لكنهم سيبدأون، كما هي الطبيعة البشرية، بالإسترخاء ما أن يمضي الوقت ولا يتحقق هجوم إنتقامي. في كل الأحوال، إن منظمات كحزب الله، وبشكل نمطي، لا تنتقم فوراً. فحتى في حالة حكومة ذات جيش محترف ومسلح بشكل جيد، تأخذ الضربات الإنتقامية وقتاً للتخطيط، المصادقة، والتنفيذ. فعلى سبيل المثال، مر أسبوعان تقريباً قبل أن تضرب صواريخ " كروز" الأميركية أهدافاً في أفغانستان والسودان عقب تفجير القاعدة للسفارتين الأميركيتين في نيروبي/ كينيا ودار السلام/تنزانيا في ٧ آب ١٩٩٨.

إن منظمة، حتى كحزب الله، وضعت لنفسها خطط هجوم طارئة بحاجة للوقت لإرسال عملاء، القيام بالمراقبة، جمع المواد، بناء قنبلة ومن ثم تشغيلها. بالواقع، إن مراجعة لهجمات حزب الله الإنتقامية الماضية تبرهن عن فترة فاصلة تصل الى شهر، على الأقل، ما بين سبب العلة والهجمات الإنتقامية. ولذلك فإن أية ضربة إنتقامية لحزب الله ستحدث، بتقديرنا، في منتصف آذار كتوقيت مبكر، رغم أن المتعاطفين مع حزب الله الذين لا يعملون كجزء من المنظمة يمكن أن يردوا بشكل أسرع بهجمات أقل تخطيطاً وتحضيراً.

وبسبب الفترة الزمنية الفاصلة، وبالوقت الذي تقترب فيه فترة الخطر الحقيقية، فإن الإجراءات الأمنية الرادعة التي وُضعت في مكانها بعد صدور التحذيرات، ستتراخى كما أن الوضعية الأمنية في أهداف محتملة ستعود الى عملها كالعادة. هذا الشعور الطبيعي بالرضا الذاتي سيساعد حزب الله بشكل كبير إذا ما قرر، ومتى ما قرر، الإنتقام. ومع إبقاء هذا الأمر في ذهننا، دعونا ندرس التهديدات والتحذيرات الأخيرة لمقارنتها بضربات حزب الله الإنتقامية التاريخية لتحديد ما الذي يمكن أن تبدوعليه الضربة الإنتقامية.

تهديدات وتحذيرات

قالت المصادر الإسرائيلية بأن الحكومة الإسرائيلية قد وضعت مراكزها الديبلوماسية في حالة تأهب أعلى في ١٣ شباط عقب تهديدات بالإنتقام على خلفية إغتيال مغنية. ويعتقد مسؤولون إسرائيليون بأنه من غير المرجح أن يقوم حزب الله بشن هجمات داخل إسرائيل، بل أن الأرجح هو مهاجمة مراكز ديبلوماسية إسرائيلية.

أما داخل الولايات المتحدة، فقد وضع الـ FBI فرقه المحلية لمكافحة الإرهاب وعملاء قوة المهمات الإرهابية المشتركة في حالة تأهب إزاء أية تهديدات ضد الكُنس وأهداف يهودية محتملة في الولايات المتحدة. كما أرسل الـ FBI ودائرة الأمن الوطني بياناً لسلطات الدولة ومؤسسات فرض القانون ناصحين إياهم بالحذر من ضربات إنتقامية محتملة من قبل حزب الله، وقامت الدائرة بالإتصال بأهداف محلية محتملة لنقل هذا

التحذير. كما يزيد الـ FBI أيضاً من تغطية المراقبة الوقائية لعملاء معروفين أو مشتبه بهم في حزب الله في محاولة لإحباط أية مؤامرة داخل الولايات المتحدة.

وأصدرت وكالات حكومية وكذلك أجهزة شرطة محلية عديدة تحذيرات وتقارير تحليلية تتصل بهجوم إنتقامي محتمل لحزب الله. ومن الواضح أن هذه الدوائر تأخذ التهديد بجدية عالية وتعتقد بأن تحذيراتها مبررة بقوة.

وبالرغم أن الهجوم ضد إغتيال مغنية قد رفع إمكانية حدوث ضربات إنتقامية، فإن قسماً كبيراً من القلق يتعلق بنتيجة الرد على عملية القتل من قبل حزب الله والراعين له. فعلى سبيل المثال، وعندما تحدث أمين عام حزب الله الشيخ حسن نصر الله في جنازة مغنية، فإنه قال بأن إغتيال مغنية هو حافز أكبر لمواصلة الجهاد ضد إسرائيل وبأن توقيت ومكان وطريقة إغتيال مغنية أمور تؤشر على أن دولة إسرائيل (يسميها نصرالله بالكيان الصهيوني) تريد حرباً مفتوحة. إذ قال نصرالله آنذاك،" أيها الصهاينة، إن كنتم هذا النوع من الحرب المفتوحة، فليسمع العالم كله: لتكن هذه الحرب المفتوحة."

وقال محامي حزب الله، إسماعيل سكرية،" لحزب الله الحق بالإنتقام في أي مكان في العالم وفي أي طريقة يراها مناسبة." وذكر بأن الشيخ نبيل قاووق قد قال، " لن يمضي وقت طويل قبل أن يدرك الصهاينة المغرورون بأن دم عماد مغنية ثمنه باهظ للغاية، وبأنه يصنع تاريخاً ويقرِّب مسألة تحقيق نصر جديد."

و لم يكن حزب الله الوحيد الذي أطلق تهديدات. فقد أشار القائد الأعلى للحرس الثوري الإسلامي الإيراني، محمد علي جعفري، على ما قيل، في رسالة تعزية لنصرالله، " سنشهد في المستقبل القريب تدمير الوجود السرطاني لإسرائيل على أيدي مقاتلي حزب الله الأقوياء الأكفاء." كما قال وزير الخارجية الإيراني منوشهر متكي في دمشق في ١٥ شباط بأن موت مغنية قد نفخ روحاً جديدة في المقاومة الإسلامية وبعث فيها يقظة وحذر شديدين.

ورغم أن حزب الله لم يقم بأي هجوم خارج المنطقة منذ سنوات عديدة، فإنه يمتلك البنية التحتية، القدرة والموهبة للقيام بذلك اليوم. وكما سبق وقلنا، فإننا نعتقد بأن حزب الله منظمة أكثر قدرة وأشد خطراً بكثير من القاعدة في الوقت الحاضر. وهذا يعني، بأن حزب الله قد تغير بشكل هام منذ الثمانينات. إذ لم يعد حزب الله منظمة مقاومة فوضوية غير متبلورة، بل هو حزب سياسي شرعي ولاعب هام في الحياة السياسية اللبنانية. ويعتقد البعض بأن هذا التغيير في طبيعة حزب الله سيغير سلوكه وبأنه لن يقوم بضربات إنتقامية كما فعل عقب الإغتيال الإسرائيلي لأمين عام حزب الله الشيخ عباس الموسوي في العام ١٩٩٢. في كل الأحوال، لقد أصدر حزب الله والداعمين له دعوات مستمرة وصريحة جداً تقريباً للإنتقام لإغتيال مغنية. وقد صنفت بعض مصادر مكافحة الإرهاب الأميركية هذه الصرخات بالـ" غير مسبوقة". إنها دعوات أكثر عدداً وحدَّة من تلك التي كانت تعقب خسارة أي كادر من كوادر حزب الله في الذاكرة القصيرة.

إن صيحة عالية كهذه تعتبر هامة لأنها تضع مقداراً لا بأس به من الضغط على قيادة حزب الله للإنتقام. بالواقع، قد يكون حزب الله قلقاً من إمتلاكه الآن بنية تحتية بالإمكان مهاجمتها، إلا أن نجاته من ضربات جوية مستمرة وثابتة خلال صراع ٢٠٠٦ مع إسرائيل يمكن أن يقوده الى الإعتقاد بأن بإمكان بنيته التحتية التكيف مع ضربات إنتقامية إسرائيلية. في كل الأحوال، فإنه من غير المرجح في هذه المرحلة أن يقوم حزب الله بأي شيئ يمكن إحتسابه على أنه سيؤدي الى إستثارة حرب شاملة مع إسرائيل.

وبالإضافة الى الضغط الناشئ عن صرخات الإنتقام ، هناك عامل آخر سيساعد في تشكيل رد حزب الله، هو المعاملة بالمثل. وبالرغم أن المعاملة بالمثل تتصل عموماً بالعلاقات الديبلوماسية وعمليات التجسس/ مكافحة التجسس، فإن المفهوم سيكون متضمناً بشكل بارز في أية ضربات للثأر لموت مغنية.

وربما يكون أحد أفضل الأمثلة التاريخية عن المعاملة بالمثل هو الرد على إغتيال الموسوي في ١٦ شباط ١٩٩٢. فبعد فترة حداد دامت ٣٠ يوماً، دمر عملاء حزب الله السفارة الإسرائيلية في بوينس آيريس بآلية مفخخة بمتفجرات متطورة (VBIED) في ١٧ آذار، ليقتلوا بذلك ٢٩

شخصاً مع جرح المئات. أما الفريق الذي قام بالهجوم فكان بمساعدة السفارة الإيرانية، لكنه كان بإدارة مغنية على ما قيل، الذي كان رائداً سابقاً لأوانه في إستخدام الـ VBIED وبمثابة سيد بنائها وإنتشارها.

وهناك حالة أخرى للمعاملة بالمثل بدأت في ٢ حزيران ١٩٩٤، عندما شنت القوات الإسرائيلية، رداً على تزايد نشاط الكمائن لحزب الله على طول الحدود، ضربة جوية كبرى مستهدفة معسكر التدريب التابع لحزب الله في عين الدردارة في سهل البقاع. وقد دمرت الضربة المعسكر وأدت، على ما قيل، الى مقتل ٣٠ الى ٥٠ من العاملين في حزب الله. وجاءت تلك الغارة بعد إسبوعين من إختطاف القوات الإسرائيلية لمصطفى الديراني، وهو قيادي في ميليشيا أمل المنتسبة لحزب الله والشخص الذي، بحسب ما زعم، زود الإسرائيليين بالمعلومات الإستخبارية الضرورية لإسرائيل للقيلم بضربة عين الدردارة.

ولاحقاً، في ١٨ تموز ١٩٩٤، سوَّت آلية مفخخة بمتفجرات متطورة (VBIED) الرابطة الأرجنتينية – الإسرائيلية المتبادلة (AMIA) بالأرض، وهو مركز يهودي في بوينس آيريس، ما أدى الى مقتل ٨٥ شخصاً وجرح المئات في عملية نُسبت الى تخطيط مغنية. وبعد ٨ أيام، إنفجرت آليتان مفخختان خارج السفارة الإسرائيلية ومكتب منظمة يهودية غير حكومية في لندن، و لم تتسببا بسقوط قتلى لكنهما أدتا الى جرح ٢٦ شخصاً.

عوامل تكتيكية

إن إحدى التكتيكات التي إستخدمها حزب الله بنجاح على إمتداد وجوده كحزب هي توليفة من الغموض، التحرك بسرية والإرباك. وتفضل المجموعة تكراراً إخفاء يدها، أو زرع الإرباك بإدعائها هجمات مستخدمة أسماء مستعارة مثل "منظمة الجهاد الإسلامي" أو منظمة المستضعفين في الأرض". لذلك فإن أي إنتقام ضد أهداف إسرائيلية سيتم على الأرجح بطريقة تخفي أية صلات للمنظمة بالهجوم وتكون مصممة للتعتيم على مسؤولية حزب الله عنه– أو على الأقل خلق درجة من الإنكار المقبول ظاهرياً. أما إحدى الأمثلة على هذا الأمر فهو إستخدام المجموعة لعملاء فلسطينيين بدلاً من لبنانيين في تفجيرات لندن ١٩٩٤.

وهناك عامل تكتيكي آخر يستحق الدرس وهو أن حزب الله يستخدم أسلوب تخطيط " الإنزال عن الرف". إن هذه طريقة تخطيط مستخدمة من قبل القيادات العسكرية لعدد من البلدان والتي يتم فيها إختيار أهداف إفتراضية عديدة وخطط هجوم كل واحدة منها تكون مطورة سلفاً. إن هذا التخطيط مقدماً يعطي قيادة حزب الله خططاً عديدة للإختيار من بينها عندما تكون هذه القيادة تدرس وتعطي التفويض بالهجوم بشكل أسرع بكثير مما لو كان عليها القيام بالتخطيط من الصفر – كما يسمح هذا التخطيط للمجموعة بالضرب بقوة وسرعة ما أن يُتخذ القرار بذلك.

وفي السنوات التي أعقبت هجوم حزب الله الأخير في الخارج، شوهد عملاؤه وهم يقومون بعمليات رصد في أجزاء عديدة من العالم (بما في ذلك الولايات المتحدة) – ما أثار عمليات إعتقال أحياناً – لكن لم ينجم عنها هجمات. ولذلك، يُعتقد بأن هؤلاء العملاء الذين تم ملاحظتهم كانوا يقومون بعمليات رصد لإستخدامها بتخطيط عملاني تمهيدي لهجمات مفترضة مستقبلاً. ويُعتقد بأن قيادة الجناح العسكري لحزب الله تملك مجموعة مختارة وكبيرة من الخطط الموضوعة جانباً والتي بإمكانها الإختيار من بينها إذا ما قررت تصعيد الهجمات في أي مكان من العالم. ولذلك، وعلى الأرجح، فإن خطط الرف قد تم رسمها سلفاً. وبشكل مثير للسخرية، فإن عدداً من هذه الخطط التي قد يتم تفعيلها إنتقاماً لموت مغنية هي من تصميم مغنية نفسه.

وفي الوقت الذي يمضي به الوقت، وبإستخدام هجمات بوينس آيريس ولندن كمقياس، فإننا نعتقد بأن حزب الله، إذا ما إختار الإنتقام، فإنه سيكون قادراً على الهجوم بغضون ٤ الى ٥ أسابيع – ربما بمنتصف آذار كما هو شائع – وليس قبل ذلك بكثير على الأرجح لإعتبارات عملانية. وفي كل الأحوال سيقوم عملاء حزب الله، في الفترة الواقعة ما بين الوقت الحالي وحتى منتصف آذار، على الأرجح، بعمليات رصد للتهيؤ لعدد من خطط الرف توقعاً لتفعيل خطة محددة. وكما سبق وناقشنا في عدد من المناسبات، فإن عمليات الرصد تتم على مراحل متنوعة من دورة

الهجوم، وبأنه خلال فترات الرصد هذه يكون العملاء عرضة للإنكشاف. إن الرصد الإستقصائي حول هدف محتمل سيكون مؤشراً علـــى أن الهدف يتم درسه، برغم أن حزب الله سيقوم بالتأكيد، بعمليات رصد لأهداف أخرى في مجهود لزرع الإرباك بما يتعلق بخططه النهائية.

وعلى كل حال، إن تقصي عمليات الرصد هذه في مراحلها الأولى يتيح تحديد مجموعات الأهداف المحتملة والمواقع الجغرافية والقيام بتحـــصينها ضد الهجوم. وبسبب هذا الأمر، فإن على المسؤولين عن مؤسسات فرض القانون والمدراء الأمنيين المسؤولين عن أمن موقع أو شخص قد يكون بتصورهم مستهدفاً من قبل حزب الله، العثور على وسائل وأجهزة تقصي للرصد ومكافحة الرصد ذات قيمة خاصة خلال الأســـابيع العديـــدة المقبلة.

الهجوم المقبل؟

إذا تم شن هجوم ما، فإننا نتوقع أن يكون هجوماً مذهلاً ليلبي متطلبات المعاملة بالمثل، مع ما هو معلوم بأن مغنية كان هاماً جداً لدى حزب الله والإيرانيين الراعين له. فقتل جندي إسرائيلي أو جنديين فحسب في كمين لن يكون كافياً. وسيتم الهجوم على الأرجح أيضاً، مع إحتفاظ حزب الله بميله نحو إستخدام يد خفية، بواسطة خلية، أو خلايا، غامضة وسرية ليس لديها إتصالات مباشرة مع المنظمة. وكما ســـبق وشـــاهدنا في هجمات سابقة أيضاً، فإنه إذا لم يكن هناك من هدف محصَّن مثل سفارة إسرائيلية أو شخص عظيم الشأن عرضة للإستهداف، فإنه يمكن إنتقاء هدف ثانوي ناعم. إن تفجير الرابطة الإسرائيلية – الأرجنتينية المتبادلة (AMIA) هو مثال أول عن هذا ويجب أن يعمل كعامل تحذير لمراكز المجتمع اليهودي وأهداف أخرى غير تابعة للحكومة الإسرائيلية في أماكن أخرى، حتى أن أهدافاً يهودية غير إسرائيلية تعتبر لعبة عادلة.

أما عملياً، فسيفضل حزب الله ضرب هدف غير مثير للشك وسهل الهجوم. وهذا هو السبب الذي يدعونا الى عدم التفاجؤ برؤيـــة هجـــوم في آسيا، أميركا اللاتينية أو حتى أفريقيا. إن هجمات حزب الله في العام ١٩٩٤ في لندن لم تكن فعالة جداً بسبب حجم المتفجرات الصغير – وهو نتيجة صعوبة الحصول على متفجرات في المملكة المتحدة. وبسبب إفتقارها لنتائج مذهلة، لا يتذكر كثيرون الهجومين بالـــ VBIED في لندن، لكنهم يتذكرون الهجوم المذهل على الرابطة الإسرائيلية – الأرجنتينية المتبادلة. إن هجمات منسية كهذه بالكاد تكون ما يأمل به حـــزب الله، كما أنها ، بالتأكيد، ليست الإنتقام الباهر الذي يريده في هذه الحالة. ولخلق نتيجة باهرة كهذه بآلية مفخخة بمتفجرات متطورة (VBIED)، فمن المرجح أن يهاجم في مكان لديه بنية تحتية راسخة، هدف مناسب وإمكانية النفاذ الى متفجرات.

هناك أمر آخر يجب أخذه بالإعتبار وهو أن المراكز الديبلوماسية الإسرائيلية ليس لديها نفس المستوى من الأمن المادي الموجود لدى معظم المراكز الأميركية، كما أنها تقع في أماكن عدة في مبان للمكاتب أو حتى في منازل عادية. ففي أماكن مثل سان سلفادور، لا مجال للمقارنة حتماً بـــين السفارة الأميركية، التي بنيت وفق معايير "إئمان"، وبين السفارة الإسرائيلية. بمعنى آخر، وكما حصل في بوينس آيريس، تعتبر المراكز الديبلوماسية الإسرائيلية أهدافاً سهلة نسبياً في أجزاء عديدة من العالم.

وبالطبع، قد لا يكون حزب الله يخطط لإحدى هجمات الـــ VBIED التي تحمل توقيع مغنية. فكما سبق ورأينا في ٩/١١، فإن هجمـــات مذهلة يمكن أن تأتي بأشكال أخرى غير الآليات المفخخة بعبوات متطورة (VBIED). وفي حين كان مغنية خبيراً بالـــ VBIED، فقد كان أيضاً مفكراً محترفاً خارج المألوف. ولذلك، من المحتمل تماماً أن يتم تنفيذ الهجمات الإنتقامية بأسلوب مبتكر ، ومع ذلك مذهل. وكان حزب الله متخوفاً ولسنوات عديدة حتى الآن من قيام الإسرائيليين بإغتيال نصرالله أو قيادي رفيع آخر، ما يعني بأن مغنية والمخططين العمليين الآخرين في حزب الله كان لديهم الكثير من الوقت للتفكير ملياً بردهم – وقد يكون الرد خلاقاً تماماً.

أما في الوقت الحاضر، فإن حزب الله أكبر بكثير وأكثر إنتشاراً جغرافياً من أي وقت مضى، مع مروحة عالمية من الأعضاء والداعمين المتشابكين بشبكات مالية / لوجستية وإستخباراتية معقدة. كما أن حزب الله، والفضل لإيران، يملك كوادرعملانية – وذوي تدريب أفضل – أكبربكثير من أي وقت مضى. كما أن كادر حزب الله يعتبر ذي خبرة جيدة في الحيل الخادعة، كونه سجل أهدافاً بالعمليات العسكرية الأممية حتى قبـــل تشكُّل القاعدة. إنه قوة يحسب لها حساب. كونوا حذرين من منتصف آذار بالفعل.

www.ipileb.com